٣٠ نوفمبر من الثورة حتى الاستقلال

□ الثلاثون من نوفمبر ١٩٦٧م لم يكن يوماً عادياً في تاريخ الشعب اليمني، بل كان يوماً تاريخياً هاماً يؤرخ لحقبة تاريخية جديدة في نضالات شعبنا ضد الغزاة والمستعمرين توقاً للاستقلال والتقدم والانعتاق من إرث الماضي الاستعماري لجنوب الوطن، والذي دام (١٢٩) عاماً.

الثلاثون من نوفمبر ١٩٦٧م يوم الاستقلال لجنوب الوطن الحبيب لم يكن استقلالاً مشروطاً باتفاق سياسي أو بنهاية معاهدة استعمارية محددة، بل كان نتاجاً طبيعياً وشرعياً لثورة شعبية عارمة استمدت أصالتها من صلب التوجه التحرري للشعوب العربية والآسيوية والأفريقية في حقبة ما بعد الحرب العالمية الثانية، وهنا لا ننسى دعم ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٣م في مصر بقيادة الرئيس الراحل جمال عبدالناصر الذي قدم الدعم والمساندة لثورة ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢م في شمال الوطن الحبيب والتي جسدت بدورها الدعم والمساندة المادية والمعنوية لقيام ثورة الرابع عشر من أكتوبر ١٩٦٣م بقيادة الجبهة القومية

كتب/عبدالله ناجي راشد

سير المفاوضات أثبت أن الثائر اليمني لا يجيد حمل البندقية بل انه كان مسلحا برؤية سياسية وتفاوضية

النساء كان لهن شرف المساهمة في الثورة وصنع الاستقلال

بداية النهاية.

□ وخلال أربع سنوات من الكفاح المتواصل الذي انطلقت شرارته الأولى من قمم جبال ردفان الشماء بقيادة الشهيد راجح بن غالب لبوزة توسعت دائرة الكفاح ضد الاستعمار البريطاني لتشمل مناطق أبين والصعيد والشعيب والضالع والصبيحة وحالمين وغيرها، وأمام تصاعد المقاومة اضطرت القوات البريطانية إلى الانسحاب إلى قواعدها في عدن عندما عجزت عن مواجهة العمليات الفدائية في المناطق الريفية، وعجزت الطائرات البريطانية نفسها أمام تحديات صمود المقاومين وبسالتهم ومهارتهم الفائقة في استخدام الأسلحة العادية كمضادات للطائرات، وهنا أحب أن أتذكر بيتاً من الشعر للشيخ الشاعر سالم لعور الربيزي متحدياً فيه قصف الطائرات البريطانية فيقول :

يالطائرة علي في إجناحش
من قوم لعور لا يصيبونش
بايسقطونش في خلا خالي
ماشي تخاتر ذي يداوونش

وتعترف الوثائق البريطانية بكفاءة مقاتلي الجبهة القومية وحسن تنظيمهم، حيث يقول تقرير سري في شهر يوليو ١٩٦٥م : «مما لا شك فيه أن مرتزقة ما تسمى بالجبهة القومية قد عملوا ما في وسعهم وأظهروا في الأسابيع الأخيرة بأنهم أصبحوا أفضل تدريباً».

وفي تقرير آخر يعترف البريطانيون بأن مخابرات المنشقين أظهرت أنها ذات مستوى عال، فمثلاً عندما تحركت سرية من الكتيبة الأولى من الفرقة «ذي يرنس أوف ويلس أون» من عدن إلى مكيراس في ديسمبر ١٩٦٥م استلم قائدها في غضون (٢٤) ساعة من وصولهم رسالة من زعيم المنشقين المحليين يقول فيها : «نرحب بالكابتن نغيل وسريته إلى مكيراس ونتمنى له زيارة سعيدة ويؤسفنا أن نبلغه باننا سنقلق بعض لياليه بنيران المورتر وذلك لحاجتنا إلى تمرين حي على الأهداف الحية».

ولأهمية انتقال العمل العسكري والعمليات الفدائية إلى مركز القاعدة البريطانية في عدن قررت الجبهة القومية في ١٢ أغسطس ١٩٦٤م فتح جبهة عدن وجاء في التقرير العام للجبهة القومية نقل العمل العسكري إلى عدن لأهمية عدن كونها تشكل المقر الرئيسي للمستعمرين الإنجليز وحيث توجد قيادة الشرق الأوسط المشتركة، وكان أول عمل مسلح قامت به الجبهة القومية هو هجوم خاطف على مطار سلاح الطيران الملكي بمنطقة خورمكسر في ٢ أغسطس ١٩٦٤م وأصيبت جراء ذلك ثلاث طائرات نقل من نوع بيفرلي وقصف مخزن للوقود ومواد أخرى (سلطان ناجي - التاريخ العسكري للبين)، تلى ذلك في ٢٨ أغسطس هجوم على ثكنات البوليس وإطلاق ثلاثة صواريخ على إذاعة الجنوب العربي (فتاة الجزيرة - العدد ٨١٩).

عمليات عدن

□ والتدليل لإثبات بعض العمليات العسكرية هو رد فعل عملي لمن يدعون أن الجبهة القومية تسلمت الجلاء من بريطانيا باتفاق مسبق وإثبات أن الثورة اليمنية في ١٤ أكتوبر ١٩٦٣م اكتسبت خصائصها من طابع الثورة الجزائرية، وأن حصول الاستقلال وطابع الثورة لم يكن انقلاباً عسكرياً عكس بعض الثورات التي اكتسبت طابعها الثوري بعد قيامها، والاعتراف بشجاعة الفدائيين والمقاتلين وتشبيههم بالذئاب الحمر لم يكن عفوياً ويكفي هنا أن نستدل من قصيدة للشاعر سميح القاسم بعنوان «الذئاب الحمر»، ويقول في بعض أبياتها :

حمت سرايا ك فاشرب من سرايانا
كأساً جرعت بها المذل ألوانا
واشحذ مداك على الجرح الذي عصفت
بمائه بقلاع البغي نيرانا
أركان عرشك ألينا نقوضها
فاحشد فلولك .. حيات وعقبانا
يا طامعاً بالذئاب الحمر ما غنمت
أطماعك السود إلا بعض قتلانا
أسطورة الأسد المهزوم تمهرها
جداول من دم تجتاح «ردفانا»
يا غازياً غسلت بالنار حملته
لقد فتحت لدفن التاج كثبانا

وبانتقال العمليات العسكري والعمليات الفدائية إلى مركز القاعدة البريطانية في عدن توسعت دائرة المشاركة الجماهيرية الداعمة للثورة من قطاعات العمال وقطاع الطلاب والمرأة، وكانت الثورة حصيلة لنضالات كل الجبهات والتنظيمات بما فيها على الأخص جبهة التحرير، إلاّ أن الجبهة القومية اكتسبت ثقلها بانخراط أعداد كبيرة من قوات الأمن العام والجيش لمساندتها ومناصرتها، والذي كان أغلبية قادتها من مشيخة دثينة وسلطنة العواذل والسلطة الفضلية ومشيخات يافع.

تسريبات المحتل

□ وأمام ضغط العمليات العسكرية على القوات البريطانية سربت السلطات البريطانية إلى الصحف المحلية ووكالات الأنباء في ٢٠ فبراير ١٩٦٦م معلومات منها أن الجنوب سينال استقلاله عام ١٩٦٨م وأعلنت في الوقت نفسه انسحاب القوات البريطانية من عدن ومناطق الجنوب في العام نفسه، لكن البريطانيين تراجعوا عن ذلك بعد تصاعد الثورة الشعبية المسلحة ضد البريطانيين والسلاطين على حد سواء وسيطرت الجبهة القومية على المنطقة الشرقية كاملة، والتي كانت تشمل حضرموت ومشيخة العوالق العليا والسفلى، ومع مجيء بعثة الأمم المتحدة إلى عدن في ٣ أبريل ١٩٦٧م وصل هذا التصعيد ذروته وبقيت بعثة الأمم المتحدة حبيسة في فندق «سيفيو هوتيل» في منطقة خورمكسر خمسة أيام بلياليها، ولم يكن أمام الحكومة البريطانية من خيار سوى أن تغير سياستها وتستبدل مندوبها السامي البريطاني «ريتشارد ترنبول» بآخر هو «همفري تريفيليان»، وقد أدلى هذا بتصريح : «إن وصولي يوم ٢٠ مايو ١٩٦٧م تحدد في مهمتي بسحب القوات البريطانية بسلام».

إن مثل هذا القول وتأكيده على سحب قواته «بسلام» ينفي ادعاءات تسلم الاستقلال بالمفاوضات وليس تحت ضغط شدة المقاومة، غير أنني على يقين من أن الاقتتال الأهلي الذي كان بين الجبهة القومية وجبهة التحرير قبيل الاستقلال ليس لها ما يبررها، ولكنني لا أستطيع أن أؤكد وجهة نظري هذه، لأن من الصعب الحكم على خلافات الماضي من منظور الحاضر، ولكنني أحترم كل من امتشق السلاح واشترك في الكفاح ضد المستعمر، ويحق للجميع الافتخار بماضيهم النضالي والتضحية من أجل الثورة والوطن، غير أن المعلومات التي تؤكد انحياز أغلب قوات الأمن و الجيش إلى الجبهة القومية بعد إيعازها لهم بأنهم سيكونون جيش الثورة القادم قد رجح كفة الجبهة القومية باعتراف بريطانيا بالجبهة القومية كمفاوض من أجل استقلال الجنوب.

التفاوض

□ ولم تأت موافقة بريطانيا على التفاوض مع الجبهة القومية إلاّ بعد فشل وفد بريطانيا في التفاوض مع حكومة الاتحاد، الذي حاول الحصول من وزراء حكومة الاتحاد على الموافقة على منح الاستقلال للجنوب العربي نهاية ١٩٦٧م أو عام ١٩٦٨م، غير أن ممثلي حكومة الاتحاد رفضوا هذا المقترح وطالبوا من أجل القبول به ضرورة توفير الضمانات للحفاظ على نظامهم، وذلك ببقاء القوات البريطانية للتصدي وقمع أي تمردات أو انتفاضات شعبية، وهنا كانت بريطانيا مضطرة لاتخاذ قرار سمحت بموجبه لبعثة الأمم المتحدة بزيارة عدن، غير أنها اتخذت كافة التحضيرات اللازمة مسبقاً لإعاقة البعثة من تنفيذ مهمتها وعدم السماح لها بالالتقاء بالشعب أو بممثليه.

وأمام هذه المناورة البريطانية أشار الأستاذ محسن العيني في خطابه أمام الدورة الثانية عشرة للجمعية العامة للأمم المتحدة وبطريقة حاذقة إلى نية بريطانيا في تشكيل دولة مصطنعة سميت باتحاد الجنوب العربي، وكان ذلك بمساعدة عملاء مأجورين محتقرة ومستخفة بالحقيقة التاريخية والجغرافية وبرغبات من كان في هذه المناطق، فعن طريق هذه الدولة اعتقد الإنجليز أنهم وبرصاصة واحدة أصابوا أرنبين اثنين، هادفة بذلك إلى عرقلة جهود اليمن في إعادة وحدة الأرض اليمنية كاملة».

استسلام المحتل

□ بعد عدم قدرة بريطانيا على إقناع حكومة الاتحاد بتسليمها الاستقلال وعدم قدرة بريطانيا على الاستجابة للمطالب المطروحة، بدأ الضعف يصيب حكومة الاتحاد ويضعف الأمراء والمشائخ، وأمام هذه المساعي سعت الجبهة القومية إلى عملية إسقاط المناطق ابتداءً من ٢٢ أغسطس ١٩٦٧م سقوط مدينة الضالع وآخرها ٢٩ أكتوبر ١٩٦٧م في العوالق العليا.

وأمام العمليات العسكرية وسقوط المناطق استسلم الاستعمار البريطاني لحقيقة تمثيل الجبهة القومية للثورة المسلحة، واعتقدت بريطانيا أنها ستقف أمام مجموعة من الثوار الذين أجادوا فن الحرب الشعبية، إلاّ أنهم يفتقرون للدراية والبصيرة لقراءة الخطاب التفاوضي، ولكن سير المفاوضات أثبت أن الوفد اليمني المفاوض لا يجيد حمل البندقية فقط، بل هو مسلح برؤية سياسية شاملة ومقدرة تفاوضية فرضت على بريطانيا هزيمة أخرى على طاولة المفاوضات في جنيف.

الوفد المفاوض

□ كان الوفد اليمني المفاوض يتكون من الأسماء التالية في جلسة التفاوض الأولى ٢١ نوفمبر ١٩٦٧م :

قحطان محمد الشعبي - رئيس الوفد.
خالد محمد عبدالعزيز.
عبدالله صالح عولقي.
عبدالفتاح اسماعيل.
فيصل عبداللطيف الشعبي.
محمد أحمد البيشي.
سيف الضالعي
أما المستشارون فهم :
أحمد علي مسعد.
المقدم محمد أحمد السياري.
حسين بن مسلم المنهالي.
محمد أحمد عقبة.
الدكتور محمد عمر الحبشي.
أبو بكر سالم قطي.
السيد محمد سعيد مدحي.
عادل خليفة.
ملكة عبدالله أحمد.

وقد كانت ورقة عمل وفد الجبهة القومية المفاوض من أجل الاستقلال تتركز على المحاور التالية :

١- سيادة الدولة :
- تسليم سيادة الدولة على كافة أجزاء المنطقة وجزرها كاملة.
- الاعتراف بالحكومة الوطنية القادمة.
- دخول الدولة الجديدة في الأمم المتحدة.
- تحديد يوم الاستقلال.
- الاتفاقيات السابقة.
- تبادل التمثيل الدبلوماسي.

٢- المسائل المالية والاقتصادية :
- الالتزامات المالية والفنية.
- بقية الأموال المعتمدة في ميزانية ١٩٦٧ و١٩٦٨م.
- تغطية العجز المتوقع في الميزانية ١٩٦٧ و١٩٦٨م.
- معاشات التقاعد والتعويضات.
- المبالغ المعتمدة لخطط التنمية.
- تقدير المبالغ المخصصة للتعويضات والتقاعد.
- المساعدات المالية التي وعدت بها بريطانيا بتقديمها للبلد.
- المساعدات الفنية.
- القروض لمشاريع التنمية.
- التجارة.
- الوثائق والتقارير والدراسات المتعلقة بالبلد.

المحادثات الأخيرة

□ غير أن الحكومة البريطانية نكثت بوعودها وخاصة في ما يتعلق بعدم تسليمها لجزر كوريا موريا، وكذلك عدم إيفائها بمبلغ (١٢) مليون جنيه استرليني كميزانية لستة أشهر ابتداءً من ديسمبر ١٩٦٧م.

وعلى ضوء المحادثات الأخيرة في ٢٩ نوفمبر ١٩٦٧م صدر البلاغ الختامي المشترك التالي :

١- اجتمع في جنيف كل من وفد المملكة المتحدة برئاسة اللورد شاكلتون أو بي إي، الوزير بلا وزارة، والجبهة القومية لتحرير الجنوب اليمني المحتل برئاسة السيد قحطان محمد الشعبي في الفترة من ٢١ وحتى ٢٩ نوفمبر ١٩٦٧م.

٣- ناقش الوفدان انتقال السلطة وإنهاء حماية حكومة صاحبة الجلالة الملكة على المنطقة التي ستعرف بجمهورية اليمن الجنوبية الشعبية واتفقا على أن كافة السلطات والحقوق التي كان يتمتع بها التاج قبيل الاستقلال ستؤل للدولة الجديدة اعتباراً من ٣٠ نوفمبر ١٩٦٧ تاريخ استقلالها.

٣- اتفق الوفدان على إقامة علاقات دبلوماسية بين بلديهما وتبادل السفراء.

٤- أحيط الوفد البريطاني علماً بالتصريحات العامة الصادرة عن الجبهة القومية من أن جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية ستضمن سلامة أفراد الجاليات الأجنبية التي تعيش في المنطقة.

٥- بحث الوفدان بعض المواضيع الهامة للجانبين بما فيها موضوع المساعدات، وقد أكد وفد الجبهة القومية على ضرورة استمرار المساعدات المالية البريطانية لمواجهة متطلبات المؤسسات المدنية والعسكرية وتطوير البلد وتسليح قوات الدفاع.

إن الوفد البريطاني وهو يرى أن الوقت قبيل الاستقلال قصير جداً لاستكمال المحادثات، فقد تم الاتفاق على متابعة المحادثات حول موضوع المساعدة بعد الاستقلال، واتفقا حتى يأتي موعد هذه المحادثات على استمرار المساعدة المالية الحالية للأغراض المدنية والعسكرية ولفترة (١٦) شهراً اعتباراً من أول ديسمبر ١٩٦٧م، وقام اللورد شاكلتون بإبلاغ وفد الجبهة القومية تمنيات الحكومة البريطانية والشعب من أجل مستقبل أفضل لجمهورية اليمن الجنوبية الشعبية، وأكد رغبتهم في المساعدة من أجل ازدهارها وأمنها على أسس من الاحترام المتبادل والمساواة.

وبعد عودة الوفد المفاوض في ٣٠ نوفمبر صباحاً ابتهجت عدن بيوم الاستقلال وخرجت الجماهير لاستقبال وفدها المفاوض، وفي الثانية عصراً توجهت الجماهير من مختلف أحياء مدينة عدن إلى مبنى حكومة الاتحاد في مدينة الشعب لرؤية وسماع خطاب القيادة الجديدة (بيان الاستقلال)، وفي نهاية البيان تمت قراءة أهم القرارات الخاصة بالحكومة الجديدة :

قرار رقم (١)

قررت القيادة العامة للجبهة القومية الممثلة الوحيدة للشعب، وهي السلطة الفعلية، ما يلي :

١- أن المنطقة التي تعرف في السابق باسم عدن ومحمياتها الشرقية والغربية وكل الجزر التابعة لها تعد منطقة واحدة وتسمى بجمهورية اليمن الجنوبية الشعبية.

٢- أن القيادة العامة للجبهة القومية هي السلطة التشريعية لجمهورية اليمن الجنوبية الشعبية وتمارس القيادة العامة هذه السلطة حتى يتم إعداد دستور مؤقت للجمهورية.

٣- أن الجبهة القومية هي التنظيم السياسي الوحيد في الجمهورية.

٤- أن علم الجمهورية سيكون من الألوان الأفقية التالية وترتيبها أعلى الأحمر فالأبيض فالأسود، ومن ناحية السارية مثلث لونه أزرق فاتح تتوسطة نجمة حمراء مخمسة.

٤- أن نظام الحكم نظام رئاسي.

القرار رقم (٢)

أنا قحطان محمد الشعبي، رئيس جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية أصدر بموجب الصلاحيات المخولة من القيادة العامة للجبهة القومية بوصفها السلطة التشريعية في الجمهورية ما يلي :

١- تعيين الإخوة التالية أسماؤهم في حكومة جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية :

١- السيد سيف الضالعي - وزيراً للخارجية.
٢- السيد علي سالم البيض - وزيراً للدفاع.
٣- السيد محمد علي هيثم - وزيراً للداخلية والصحة بالوكالة.
٤- السيد عبدالفتاح اسماعيل - وزيراً للثقافة والإرشاد وشؤون الوحدة.
٥- السيد فيصل عبداللطيف الشعبي - وزيراً للاقتصاد والتخطيط والتجارة.
٦- السيد عادل محفوظ خليفة - وزيراً للعدل والأوقاف.
٧- السيد محمد عبدالقادر بافقيه - وزيراً للتربية.
٨- السيد عبدالملك اسماعيل - وزيراً للعمل والشؤون الاجتماعية.
٩- السيد سعيد عمر العكبري - وزيراً للإدارة المحلية ووزيراً للزراعة بالوكالة.

٢- يعمل بهذا القرار من تاريخ صدوره.

٣- ينشر في الجريدة الرسمية.

قحطان محمد الشعبي
رئيس جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية
صادر في ٣٠ نوفمبر ١٩٦٧م